تفسير سورة «لم يكن»

وهي مكِّيةٌ في قولِ يحيى بنِ سلام. ومدنيةٌ في قول ابنِ عباس والجمهور[1]. وهي تسعُ آيات.

وقد جاء في فَضْلِها حديثٌ لا يصحُّ، رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرميِّ قال: قال لي أبو عبد الرحمن بن نُمَير: اذهبْ إلى الهيثم[2] الخشَّاب فاكتُبْ عنه فإنه قد كَتَب، فذهبت إليه، فقال: حدَّثنا مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ابن المسيِّب، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلمُ الناسُ ما في [لَمْ يَكُنِ] الذين كفروا مِن أهل الكِتابِ، لعطَّلوا الأهلَ والمالَ، فتعلَّموها» فقال رجلٌ من خزاعةَ: وما فيها من الأجر يا رسولَ الله؟ قال: «لا يقرؤها منافقٌ أبداً، ولا عبدٌ في قلبه شكٌّ في الله. والله إنَّ الملائكةَ المقرَّبين يقرؤونها مُنذُ خَلَق الله السمواتِ والأرضَ وما يَفْتُرُون من قراءتها. وما مِن عبدٍ يقرؤها إلَّا بعث الله إليه ملائكةً يحفظونه في دينه ودنياه، ويَدْعون له بالمغفرة والرحمة». قال الحَضْرميُّ: فجئتُ إلى أبي عبدِ الرحمن بن نُمير، فألقيتُ هذا الحديثَ عليه، فقال: هذا قد كفانا مؤونَتَه، فلا تَعُدْ إليه[3].

قال ابن العربيِّ[4]: روى إسحاقُ بنُ بشرٍ الكاهليُّ عن مالك بن أنس، عن يحيى ابن سعيد، عن ابن المسيِّب، عن أبي الدرداء، عن النبيِّ ﷺ: «لو يَعْلمُ الناسُ ما في

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣١٥ ، وأخرجه عن ابن عباس ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٧ .

(٢) في النسخ: أبي الهيثم، والمثبت من المحدث الفاصل ص ٣١٥ ، والكلام وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) يعني أن رواية مثل هذا الحديث تبين حال راويه؛ لأنه حديث باطل لا أصل له. قاله الخطيب، كما ذكر الحافظ في اللسان ٦/ ٢٠٦ في ترجمة الهيثم بن خالد الكوفي الخشاب.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٧ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

[لم يكن] الذين كفروا، لعطَّلوا الأهلَ والمالَ ولتعلَّموها»[١]. حديثٌ باطلٌ، وإنَّما الحديثُ الصحيحُ ما روي عن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبيّ بنِ كعب: «إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك: «لم يكن الذين كفروا» قال: وسمَّاني لك!؟ قال: «نعم»، فبَكَى.

قلت: خرَّجه البخاريُّ ومسلم[٢]. وفيه من الفقهِ قراءةُ العالِم على المتعلِّم. قال بعضُهم: إنَّما قرأ النبيُّ ﷺ على أُبيٍّ، ليعلِّم الناسَ التواضُعَ؛ لئلَّا يأنَفَ أحدٌ من التعلُّم والقراءةِ على مَن دونَه في المنزلة.

وقيل: لأن أُبيًّا كان أسرعَ أخذًا لألفاظِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأراد بقراءته عليه أن يأخذه ألفاظَه ويقرأ كما سمع منه، ويعلِّم غيرَه. وفيه فضيلةٌ عظيمةٌ لأبيٍّ؛ إذ أَمَر اللهُ رسولَه أن يقرأ عليه.

قال أبو بكر الأنباريُّ: وحدَّثنا أحمد بنُ الهيثم بن خالد، قال: حدَّثنا علي بن الجعد، قال: حدَّثنا عكرمةُ، عن عاصم، عن زِرّ بن حُبيش قال: في قراءةِ أبيّ بن كعب: ابنُ آدمَ لو أُعطِيَ واديًا من مال لالتمسَ ثانيًا، ولو أُعطي واديَيْنِ من مالٍ لالتمسَ ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا الترابُ، ويتوبُ الله على مَن تاب[٣]. قال عكرمةُ: قرأ عليَّ عاصم: «لم يَكُنْ» ثلاثين آيةً، هذا فيها. قال أبو بكر: هذا باطلٌ عند أهلِ العلم؛ لأنَّ قراءَتَي ابنِ كثيرٍ وأبي عمرو متَّصِلَتان بأبيّ بن كعب، لا يُقْرأ فيهما هذا المذكورُ في «لم يكن» ممَّا هو معروفٌ في حديثِ رسولِ الله ﷺ، على أنَّه من كلامِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، لا يَحْكيه عن ربِّ العالمين في القرآن. وما رواه اثنان معهما الإجماعُ أَثْبتُ ممَّا يَحْكيه واحدٌ مخالِفاً[٤] مذهبَ الجماعةِ.

---

(١) أخرجه بهذا الإسناد الواحدي في الوسيط ٤/٥٣٨، وسقط قوله: عن أبي الدرداء، من مطبوع أحكام القرآن.

(٢) صحيح البخاري (٣٨٠٩)، وصحيح مسلم (٧٩٩)، وهو عند أحمد (١٢٣٢٠)، وسلف ١٧/١٦٢.

(٣) أخرجه بنحوه أحمد (١٢٢٠٢)، والترمذي (٣٧٩٣) من طريق شعبة، عن عاصم، عن زر، عن أبي بن كعب ﷺ. وينظر ما سيأتي ص٤٥٠ من هذا الجزء.

(٤) في (د) و(م): مخالف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كذا قراءةُ العامَّة، وخَطُّ المصحف. وقرأ ابن مسعود: «لم يَكُنِ المشركون وأهلُ الكتابِ مُنْفَكِّين»[1] وهذه قراءةٌ على التفسير؛ قال ابن العربيِّ[2]: وهي جائزةٌ في مَعْرِض البيان، لا في مَعْرِض التلاوة، فقد قرأ النبيُّ ﷺ في روايةِ الصحيح: «فَطَلِّقُوهنَّ لقُبُل عِدَّتهنَّ»[3] وهو تفسيرٌ؛ فإنَّ التلاوةَ هو ما كان في خطِّ المصحف.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني اليهودَ والنصارى. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في موضعِ جرٍّ عطفاً على «أهل الكتاب». قال ابن عباس: «أهلُ الكتابِ»: اليهودُ الذين كانوا بيثرِبَ، وهم قُرَيظَةُ والنَّضِيرُ وبنو قَيْنُقاع. والمشركون: الذين كانوا بمكةَ وحَوْلَها، والمدينةِ والذين حولَها، وهم مشركو قريش. ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: مُنْتَهين عن كفرهم، زائلين[4] عنه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: محمدٌ ﷺ.

وقيل: الانتهاءُ: بلوغُ الغاية، أي: لم يكونوا لِيَبلُغوا نهايةَ أعمارِهم فيموتوا، حتى تأتيهم البينةُ. فالانفكاكُ على هذا بمعنى الانتهاء.

وقيل: «مُنفكِّين»: زائلين، أي: لم تكن مدتُهم لتزولَ حتى يأتيهم رسولٌ.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٦.

(٢) في أحكام القرآن ٤/١٩٥٧، وما قبله منه.

(٣) صحيح مسلم (١٤٧١): (١٤) من حديث ابن عمر ﷺ، وفيه: «... فطلقوهن في قبل عدَّتهن». وينظر ما سلف ٢١/٣٣ عند تفسير الآية الأولى من سورة الطلاق.

(٤) في (م): مائلين.

والعربُ تقول: ما انفكَكْتُ أفعلُ كذا، أي: ما زِلْتُ. وما انفكَّ فلان قائماً: أي: ما زال قائماً.

وأصلُ الفَكِّ: الفتحُ؛ ومنه: فكُّ الكتاب[١]، وفَكُّ الخَلخال، وفك السالم. قال طَرَفة:

فآلَيْتُ لا يَنفَكُّ كَشْحي بطانةً لِعَضْبٍ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ[٢]

وقال ذو الرُّمة:

حَرَاجِيجُ ما تَنْفكُّ إلَّا مُناخةً على الخَسْفِ أَوْ نَرْمي بها بلداً قَفْرا[٣]

يريد: ما تنفكُّ مُناخةً، فزاد «إلَّا»[٤].

وقيل: «منفكِّين»: بارِحين، أي: لم يكونوا ليبرحوا ويُفارِقوا الدنيا، حتى تأتيهم البينة.

وقال ابن كيسان: أي: لم يكن أهلُ الكتابِ تارِكينَ صفةَ محمدٍ ﷺ في كتابهم، حتى بُعِث، فلمَّا بُعث حَسَدوه وجَحَدوه، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]. ولهذا قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية. وعلى هذا فقولُه: «والمُشْرِكينَ»، أي: ما كانوا يسيئون القولَ في محمدٍ ﷺ حتى بُعِث؛ فإنَّهم كانوا يُسمُّونه الأمين، حتى أتتهم البينةُ على لسانه وبُعث إليهم، فحينئذٍ عادَوْه.

---

(١) وهو إزالةُ ختمه وفتحُه. تفسير الرازي ٣٢/ ٤١ .

(٢) ديوان طرفة ص ٣٧ . قوله: آليت، أي: حلفت. لا ينفك: لا يزال. والكشح: الجنب، والمعنى: لا يزال حنبي لاصقاً بالسيف. والعَضْب: السيف القاطع، وشفرتاه: حدَّاه. ومهند: منسوب إلى الهند. شرح المعلقات للنحاس ١/ ٨٩ ، وللتبريزي ص ١١٦ .

(٣) ديوان ذي الرمة ٣/ ١٤١٩ . قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: حراجيج: ضُمْرٌ (يعني النوق). ما تنفك: ما تزال. والخسف: الجوع، وهو أن تبيت على غير علف.

(٤) ضرائر الشعر لابن عصفور ص ٧٥ - ٧٦ ، وهي في قول بعض النحويين ليست زائدة، فقدَّر في «تنفك» التمام، ونصب مناخة على الحال، والمعنى: ما تنفصل عن جهد ومشقة إلا في حال إناختها على الخسف، ورَمْي البلد القفر بها، أي: تنتقل من شدة إلى شدة. أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٧٣ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨١ .

وقال بعض اللُّغويين: «مُنْفَكِّينَ»: هالكين، من قولهم: انفكَّ صَلَا المرأةِ[١] عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتَهلك. المعنى: لم يكونوا معذَّبين ولا هالكين، إلَّا بعد قيامِ الحجةِ عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وقال قومٌ في «المشركين»: إنَّهم من أهل الكتاب؛ فمِن اليهود من قال: عزيرٌ ابنُ الله. ومن النصارى مَن قال: عيسى هو الله. ومنهم مَن قال: هو ابنه. ومنهم مَن قال: ثالثُ ثلاثةٍ.

وقيل: أهلُ الكتابِ كانوا مؤمنين، ثم كفروا بعد أنبيائهم. والمشركون وُلِدوا على الفِطرة، فكفروا حين بلغوا. فلهذا قال: «والمُشْرِكينَ».

وقيل: المشركون وصفُ أهلِ الكتابِ أيضاً؛ لأنَّهم لم ينتفعوا بكتابهم، وتركوا التوحيد. فالنصارى مُثَلِّثةٌ، وعامَّةُ اليهودِ مُشَبِّهةٌ، والكلُّ شِركٌ. وهو كقولك: جاءني العقلاءُ والظُّرفَاء، وأنتَ تريد أقوامًا بأعيانهم[٢]، تَصِفُهم بالأمرين. فالمعنى: مِن أهلِ الكتابِ المشركين.

وقيل: إنَّ الكفر هنا هو الكفرُ بالنبيِّ ﷺ، أي: لم يكن الذين كفروا بمحمدٍ من اليهود والنصارى، الذين هم أهلُ الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عَبَدَةُ الأوثان من العرب وغيرهم ـ وهم الذين ليس لهم كتاب ـ مُنْفَكِّين؛ قال القشيريُّ: وفيه بعدٌ؛ لأنَّ الظاهر من قوله: «حتى تأتيهم البينةُ. رسولٌ مِن اللهِ» أنَّ هذا الرسول هو محمدٌ ﷺ. فيبعُدُ أن يُقال: لم يكن الذين كفروا بمحمدٍ ﷺ منفكِّين حتى يأتيهم محمد، إلَّا أنْ يقال: أراد: لم يكن الذين كفروا الآنَ بمحمدٍ؛ وقد[٣] كانوا من قبلُ

---

(١) كذا نقل المصنف عن البغوي ٤/ ٥١٣ ، ومثله في البحر ٨/ ٤٩٨ . وذكر أبو عبيد في الغريب المصنف ١/ ٦٨ عن الأصمعي: انْهكَّ صلا المرأة انهكاكاً، ومثله في تهذيب اللغة ٥/ ٣٤١ ، ومجمل اللغة ٣/ ٨٩١ ، والصحاح (هكك)، واللسان (هكك). والصلا: وسط الظهر، أو ما انحدر من الوَرِكين. القاموس (صلو).

(٢) في النسخ الخطية: بعينهم.

(٣) في (م): وإن.

مُعَظِّمين له، بمنتهين عن هذا الكفر، إلى أن يبعث الله محمداً إليهم، ويبيِّن لهم الآيات، فحينئذٍ يؤمنُ قوم.

وقرأ الأعمشُ وإبراهيم: «والمشركُونَ» رفعاً، عطفاً على «الذين»[١]. والقراءةُ الأولى أَبْيَنُ؛ لأنَّ الرفع يصير فيه الصِّنفان كأنهم من غير أهل الكتاب.

وفي حرفِ أبيٍّ: «فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكِّين»[٢]. وفي مصحفِ ابنِ مسعود: «لم يكنِ المشركون وأهلُ الكتابِ منفكِّين». وقد تقدَّم[٣].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ قيل: حتى أتتهم. والبيِّنَةُ: محمدٌ ﷺ. ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بَعيثٌ من الله جلَّ ثناؤه. قال الزَّجَّاج[٤]: «رسولٌ» رفع على البدل من «البينة». وقال الفرَّاء: أي: هي رسولٌ من الله، أو: هو رسولٌ من الله؛ لأنَّ البينة قد تذكَّر فيقال: بيِّنتي فلان. وفي حرفِ أُبيٍّ وابن مسعود: «رَسُولًا» بالنصب على القطع[٥].

﴿يَتْلُوا۟﴾ أي: يقرأ. يقال: تلا يتلو تلاوةً. ﴿صُحُفًا﴾ جمع صحيفة، وهي ظرفُ المكتوب. ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ قال ابن عباس: من الزُّور والشكِّ والنفاق والضَّلالة. وقال قتادة: من الباطل. وقيل: من الكذب والشُّبُهات والكفر، والمعنى واحد. أي: يقرأ ما تتضمَّنُ الصحفُ من المكتوب، ويدلُّ عليه أنه كان يتلو عن ظَهْرِ قلبِه لا عن كتاب؛ لأنه كان أمِّيًّا لا يكتبُ ولا يقرأ.

و«مُطَهَّرةً»: مِن نَعْتِ الصُّحف، وهو كقوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس:١٣]، فالمطهرةُ نعتٌ للصُّحفِ في الظاهر، وهي نعتٌ لمَا في الصُّحف من القرآن.

---

(١) ذكرها أبو حيان في البحر ٨/ ٤٩٨ دون نسبة.

(٢) ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣١٦ بلفظ: «ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين».

(٣) في بداية تفسير هذه الآية.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٣٤٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٢، والقراءات الشاذة ص ١٧٦، والكشاف ٤/ ٢٧٤.

وقيل: «مطهرة» أي: ينبغي ألَّا يَمَسَّها إلَّا المطهَّرون، كما قال في سورة الواقعة حَسْبَ ما تقدَّم بيانُه[١].

وقيل: الصُّحف المطهَّرة: هي التي عند الله في أمِّ الكتاب، الذي منه نُسِخ ما أنزل على الأنبياء من الكتب، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]. قال الحسن: يعني الصُّحفَ[٢] المطهَّرةَ في السماء.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: مستقيمةٌ مستويةٌ مُحْكَمةٌ، من قول العرب: قام يقوم: إذا استوى وصح.

وقال بعضُ أهلِ العلم: الصحفُ هي الكتب، فكيف قال: في صحفٍ فيها كُتب؟

فالجواب: أنَّ الكتب هنا بمعنى الأحكام؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١] بمعنى: حَكَم. وقال ﷺ: «والله لأقضِيَنَّ بينكما بكتابِ الله» ثم قضى بالرَّجم[٣]، وليس ذِكْرُ الرَّجْمِ مسطوراً في الكتاب، فالمعنى: لأقضيَنَّ بينكما بحُكْمِ الله تعالى، وقال الشاعر:

ومالَ[٤] الولاءُ بالبلاءِ فِمْلتُمُ ... وما ذاكَ قال اللهُ إذ هو يَكْتُبُ[٥]

وقيل: الكتبُ القيِّمة: هي القرآن، فجعله كتباً لأنه يشتملُ على أنواعٍ من البيان.

---

(١) عند تفسير الآية (٧٩) منها.

(٢) في (ز) و(ظ): بالصحف، وفي (د): في الصحف، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (١٧٠٣٨)، والبخاري (٢٦٩٥ ، ٢٦٩٦)، ومسلم (١٦٩٧ ، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني، وسلف ٦/ ١٤٥ و٧/ ٢٥١ . والكلام بنحوه في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٩٤ ، وغريب الحديث له ١/ ٧٠ .

(٤) في النسخ: وما، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٥) تأويل مختلف الحديث ص ٩٤ لابن قتيبة، وغريب الحديث له ١/ ٧٠ ، ونسبه ابن قتيبة للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ١٠ برواية:

ومال الولاء بالبلاء فملتم ... علينا وكان الحقُّ أن تتقربوا

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: من اليهود والنصارى. خصَّ أهلَ الكتابِ بالتفريق دون غيرهم، وإن كانوا مجموعين مع الكافرين؛ لأنَّهم مظنونٌ بهم عِلْمٌ، فإذا تفرَّقوا كان غيرهم ممَّن لا كتابَ له أَدْخَلُ في هذا الوصف.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: أتتهم البيِّنةُ الواضحة. والمعنيُّ به محمدٌ ﷺ، أي: بالقرآن[1] موافقاً لمَا في أيديهم من الكتاب بنَعْتِه وصِفَتِه. وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوَّته، فلمَّا بُعِث جحدوا نبوَّته وتفرَّقوا، فمنهم مَن كفر بغياً وحسداً، ومنهم مَن آمَن، كقوله تعالى: ؛ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

وقيل: «البينة»: البيانُ الذي في كتبهم أنه نبيٌّ مرسَلٌ. قال العلماء: مِن أوّل السورة إلى قوله «قَيِّمَةٌ»: حكمها فيمَن آمَن مِن أهل الكتاب والمشركين. وقوله: «وما تفرق»: حُكْمُه فيمَن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيامِ الحجج.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ أي: وما أُمِر هؤلاء الكفارُ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: ليوحِّدوه. واللامُ في «لِيعبدوا» بمعنى «أنْ»، كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] أي: أنْ يبيِّن، و﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ٨]، و﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]. وفي حرفِ عبدِ الله: «وما أُمِروا إلَّا أنْ يَعبدوا اللهَ»[2].

---

(١) في (م): القرآن.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٢.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: العبادةَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. وفي هذا دليلٌ على وجُوب النيةِ في العبادات؛ فإنَّ الإخلاص مِن عَمَلِ القلب، وهو أن[١] يرادَ به وجهُ الله تعالى لا غيره.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿حُنَفَآءَ﴾: أي: مائلين عن الأديان كلِّها إلى دين الإسلام، وكان ابن عباس يقول: «حنفاء»: على دين إبراهيمَ عليه السلام[٢]. وقيل: الحَنِيف: مَن اخْتَتَن وحج؛ قاله سعيد بن جبير[٣]. قال أهلُ اللغةِ: وأصلُه أنه تَحَنَّفَ إلى الإسلام، أي: مالَ إليه.

الثالثة: قولُه تعالى: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: بحدودها في أوقاتها ﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: يُعطوها عند مَحِلِّها ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: ذلك الدينُ الذي أُمِروا به دِينُ القَيِّمة، أي: الدينُ المستقيم. وقال الزجَّاج[٤]: أي: ذلك دِينُ المِلَّةِ المستقيمة، و«القيِّمة» نعتٌ لموصوفٍ محذوف. أو يقال: دِينُ الأمةِ القَيِّمة بالحق، أي: القائمةِ بالحقّ.

وفي حرف عبد الله: «وذلك الدِّينُ القَيِّمة»[٥]. قال الخليل: «القَيِّمة» جمعُ القيِّم، والقيم والقائم واحد[٦].

وقال الفرَّاء: أضاف الدِّين إلى القيمة وهو نعتُه؛ لاختلاف اللَّفْظَين. وعنه أيضاً:

---

(١) في (م): وهو الذي، والمثبت من النسخ الخطية، والكلام بنحوه في أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٤٣١.

(٢) ذكره الرازي ٣٢/ ٤٦ عن مجاهد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٣٥٠.

(٥) في النسخ: القيم، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٣، والكشاف ٤/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨، والبحر ٨/ ٤٩٩، قال أبو حيان: فالهاء على هذه القراءة للمبالغة، أو أنث على أن عنَى بالدين الملة، كقوله: ما هذه الصوت، يريد: ما هذه الصيحة.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٥١٤.

هو من بابِ إضافةِ الشيءِ إلى نفسه، ودخلت الهاءُ للمدح والمبالغة[١]. وقيل: الهاءُ راجعةٌ إلى الملَّة أو الشريعة.

وقال محمد بن الأشعث الطَّالقانيُّ[٢]: «القَيِّمة» هاهنا: الكتبُ التي جرى ذِكْرها، والدِّينُ مضافٌ إليها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ «المشركين»: معطوفٌ على «الَّذين»، أو يكونُ مجروراً معطوفاً على «أهل». ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قرأ نافع وابن ذَكوان بالهمز على الأَصل في الموضعين[٣]، من قولهم: بَرَأ الله الخَلْقَ، وهو البارئُ الخالق، وقال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

الباقون بغير همزٍ، وشدِّ الياءِ عِوضاً منه. قال الفَرَّاء[٤]: إنْ أُخذت البَرِيَّة من البَرَى، وهو التراب، فأصلُه غيرُ الهمز؛ تقول منه: بَرَاه اللهُ يبرُوه بَرْوًا، أي: خَلَقه.

قال القُشَيْرِيُّ: ومَن قال البَرِية من البَرَى، وهو التراب، قال: لا تدخلُ الملائكة تحت هذه اللفظة. وقيل: البَرِيَّة: مِن بَرَيْت القلَم، أي: قدَّرته، فتدخل فيه الملائكة. ولكنَّه قولٌ ضعيف؛ لأنَّه يجب منه تخطئةُ مَن هَمَز.

وقولُه: «شرُّ البَرِيَّة» أي: شرُّ الخليقة؛ فقيل: يحتملُ أن يكون على التعميم. وقال

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٤ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ٤٧ .

(٢) قوله في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٨ .

(٣) السبعة ص ٦٩٣ ، والتيسير ص ٢٢٤ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (برا).

قومٌ: أي: هم شرُّ البريةِ الذين كانوا في عصر النبيِّ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] أي: على عالَمِي زمانِكم. ولا يبعدُ أن يكون في كفار الأمم قبلَ هذا مَن هو شرٌّ منهم، مثل فرعون وعاقرِ ناقةِ صالح. وكذا «خَيْرُ البَرِيَّة»: إمَّا على التعميم، أو خير بَرِيةِ عصرِهم.

وقد استدلَّ بقراءة الهمز مَن فضَّل بني آدمَ على الملائكة، وقد مضى في سورة البقرة القولُ فيه[١]. وقال أبو هريرةَ ﷺ: المؤمنُ أكرمُ على اللهِ عزَّ وجلَّ من بعض الملائكة الذين عنده[٢].

قوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: ثوابُهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: خالِقهم ومالِكهم ﴿جَنَّٰتُ﴾ أي: بساتين ﴿عَدْنٍ﴾ أي: إقامة. والمفسِّرون يقولون: «جَناتُ عَدْنٍ» بُطْنانُ الجَنَّةِ، أي: وَسَطُها؛ تقول: عَدَن بالمكان يَعْدِن عُدُوناً: أقام. ومَعْدِنُ الشيء: مَرْكزُه ومُسْتقَرُّه. قال الأعشى:

وإنْ يُسْتضافوا إلى حُكْمِه ... يُضافوا إلى راجِحٍ قد عَدَنْ[٣]

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يَظْعَنون ولا يموتون. ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: رضِيَ أعمالَهم؛ كذا قال ابن عباس[٤]. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: رَضُوا هم بثوابِ الله عزَّ وجلَّ. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الجنة ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: خاف ربَّه، فتناهَى عن المعاصي.

---

(١) ١/ ٤٣٠.

(٢) أخرجه موقوفاً البيهقي في الشعب (١٥٢)، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٤٧)، وابن حبان في المجروحين ٣/ ٩٩ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، والموقوف والمرفوع في إسناديهما يزيد بن سنان أبو المهزِّم، قال عنه الحافظ في التقريب: متروك.

(٣) ديوان الأعشى ص ٦٩ برواية: يضافوا إلى هادنٍ قد رَزَنْ، وهو في اللسان (وزن) برواية: عادلٍ قد وَزَنْ.

(٤) ذكره الرازي ٣٢/ ٥٦ دون نسبة.